

سوسيولوجيا الزواج والجندر: من الاختيار إلى الحياة اليومية

SOCIOLOGY OF MARRIAGE AND GENDER: FROM PARTNER CHOICE TO DAILY LIFE

جامعة وهران/2 الجزائر	علم الاجتماع	ميلودي فتيحة * Miloudi Fatiha Fatisoft2010@live.fr
جامعة وهران/2 الجزائر	علم الاجتماع	د. غربي عبد الإله راضية Gharbi-Abdellilah radia Gharbiradia@outlook.com
DOI: 10.46315/1714-011-003-031.		

الإرسال: 01/01/2021 القبول: 06/04/2021 النشر: 16/06/2022

ملخص: يتناول هذا البحث موضوع سوسيولوجي مهم في علم اجتماع الأسرة، فقد حاول معالجة جانبين أساسيين في سيرورة الزواج بدءا باختيار شريك الحياة وما يتعلق به من تصورات اجتماعية للجسد، ثانيا: دراسة الحياة اليومية للأزواج في جانبها المعاش، حيث كشف هذا البحث عن مدى تأثير الجندر كبناء اجتماعي لمفهوم الذكورة والأنوثة والعلاقات الاجتماعية بين الجنسين على مؤسسة الزواج، ومن ناحية أخرى تفاعله مع التغيير الاجتماعي الذي مسّ مكانات وأدوار المرأة والرجل، ما جعل علاقة الجندر مع التغيير الاجتماعي بين ثنائيات التقليد والحداثة، القطيعة والاستمرارية، الثبات والتغيير لدى الأزواج وحياتهم اليومية.

كلمات مفتاحية: الزواج؛ الاختيار؛ الحياة اليومية؛ الجندر؛ التغيير الاجتماعي.

Abstract:

This research deals with an important sociological topic in family sociology. It is about two sides of the marriage process, starting with the choice of a life partner and their perceptions of the body, moving to the study of the couples' daily lives as the yare lived. This research reveals the extent to which gender -as a social construct of the concepts of masculinity, femininity, and social relations between both sexes- affects the institution of marriage and its interaction with the social change that has affected the roles of women and men. This has made the relationship of gender with the social change among dichotomies of tradition and modernity, disunity and continuity, , stability and change of couples and their daily lives.

Keywords : Marriage; partner choice; daily life; gender; social change.

1- مقدمة:

يعد الزواج في مجتمعنا رابطة ومؤسسة اجتماعية بين جنسين أنثى وذكر، يقرها ويعترف بها المجتمع، ويقتضها العرف، ويعمل على تشريعها القانون، بغرض تنظيم المعاشرة الجنسية، والمحافظة على الأنساب، وإشباع الرغبات والاحتياجات من الناحية النفسية والاجتماعية. الزواج يمر بسيرورة ابتداءً من الاختيار الذي يعتبر الحجر الأساس لتأسيس هذه الرابطة، إذ يكون فيه اختيار شريك الحياة بمثابة مفترق طرق لعدة تمثلات اجتماعية، تقوم برسم تطلعات الشباب نحو الشريك واتجاهاته نحوه. فالتمثلات هي نوع من المعرفة المرتبطة بالحس المشترك، وفي بحثنا هذا شغلت التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالجسد محل اهتمامنا، فالجسد ليس حبيس مستواه البيولوجي، بل هو عنصر منفتح على ثقافة مجتمعه، خاصة لما يحمله من تمثلات اجتماعية للعلاقات الاجتماعية بين الجنسين.

سيرورة الزواج من مرحلة ما قبل الزواج التي تتمثل في الاختيار وتمثلاته تقودنا إلى استكمال البحث في مرحلة ما بعد الزواج التي يتشكل فيها الرابط الزوجي ومعاش الحياة اليومية. إذ ظهرت بعض المؤشرات المساهمة في التغيير الاجتماعي لدى الأزواج المعاصرين، في نوع السكن الذي يكون فردي مستقل عن العائلة الممتدة، تواجد المرأة بالفضاء العام لاستكمال الدراسة بالجامعة، ما سمح بتواجد الطالبات المتزوجات/ والعاملات به أيضا. هؤلاء النساء لديهن أدوار بالفضاء العام، لكن هناك ثقافة اجتماعية جندرية تمنحهن أدوارا بالفضاء الخاص كالعمل المنزلي ورعاية الأطفال، كذلك في علاقتها بالزوج الذي تمنحه نوع من الهيمنة الذكورية. فالجندر كنظام اجتماعي يحكم العلاقات بين الجنسين يعتبر "كنظام ثنائي التصنيف تراتبي بين الجنسين (نساء/رجال) وبين القيم والتمثلات التي تربطهم (ذكر/أنثى)" (berni & al, 2008, p. 7). إذ نجد أن هناك بعض المجالات التي أصبح يتساوى فيها الزوجان في المكانات والأدوار، لكن يبقى هناك نظام جندري يمكن أن يشكل توتر واختلاف.

كما توضح الباحثة Isabelle clair أهمية مفهوم الجندر في البحث قائلة: "جميع الظواهر الاجتماعية ينظمها الواقع الاجتماعي للجندر جزئيا" (Guillonet, 2014)، فالجندر تتأثر به مختلف المؤسسات الاجتماعية من بينها مؤسسة الزواج، إذ يرى Anirian وآخرون (2019) أن: دراسة علاقة الثنائي والزواج لبعدين مهمين للجندر، هما الهوية الجندرية وأدوار الجندر يعتبران نتيجة لسيرورة التنشئة المستخدمة من طرف البنات الاجتماعية "أن تكون رجل" أو "أن تكون امرأة"، لوصف أساليب بنيوية للشعور، للتفكير، للفعل والتمييز على أساس نصوص أنثوية

وذكورية، باستخدام خطابات وممارسات، هي تتكرر باستمرار في الحياة اليومية، لخلق وهم موضوعية وحتمية الحقيقة الخاصة بالذكورة والأنوثة الذاتية فكيف يظهر الجندر كنظام اجتماعي في سيرورة الزواج من الاختيار إلى الحياة اليومية؟ للإجابة على هذا السؤال قمنا بطرح الفرضيات التالية:

- ترتبط تمثلات الجسد في اختيار شريك الحياة من خلال الجانبين الظاهري والتمظهري بمكانة كل من الرجل والمرأة وثقافة المجتمع.

- رغم التغيير الاجتماعي الذي أثر على تغير مكانات وأدوار كل جنس إلا أن ذلك لا يؤدي إلى زوال النسق الرمزي للهوية الجندرية داخل الحياة اليومية للأزواج.

2- منهجية البحث:

بالنسبة لمجتمع البحث فقد انقسم إلى قسمين، القسم الأول تمثل في طلبة ما بعد الليسانس (ماستر، ماجستير، دكتوراه) وقد تم الاختيار لطلبة ما بعد الليسانس مراعاة لعامل السن، رغبة منا في التقرب إلى أفراد أكبر سنا ممكن، ومراعاة لعامل آخر وهو إنهاء مرحلة من مراحل الدراسة (مرحلة الليسانس) ودور هذين العاملين في تقريب مشروع اختيار شريك الحياة في تمثلاتهم، إضافة إلى تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية بهذا المجتمع. أما بخصوص مجموعة المبحوثين المقصودة فهي مكونة من 14 فرد، منهم 7 إناث و7 ذكور من عدة مستويات من مرحلة ما بعد الليسانس. أما القسم الثاني فتمثل في طالبات متزوجات بجامعة وهران، لدهن سكن فردي مستقل عن العائلة الممتدة، السن لا يتجاوز 45 سنة، تمثلت مجموعة المبحوثات المقصودة في 11 طالبة متزوجة وعاملة.

اعتمدنا في بحثنا على مقارنة كيفية وصفية تحليلية، وذلك لما يتناسب مع موضوع البحث والغرض منه، قمنا باستخدام المقابلة النصف موجهة على شكل مقابلات فردية.

3- التصورات الاجتماعية الجندرية للجسد واختيار شريك الحياة:

أ- عندما تكون المرأة أكبر سنا وأطول قامة:

لقد وجدنا لمفهوم الهابيتوس مكانة هامة في التحليل النظري للتمثلات الخاصة باختيار شريك الحياة سواء من ناحية السن أو القامة، هذا المفهوم يعتبر بمثابة براديجم يجمع بين الموضوعية والذاتية، البناء والفرد في استدماج نوع معين من التمثلات، يعرفه بيير بورديو باعتباره مبدأ متحكم في التمثلات والممارسات بقوله أنه: "أنظمة من الإستعدادات الدائمة والقابلة للتغير، بنيات منظمة مهياة للعمل كبنيات صائغة، أي كمبادئ مولدة ومنظمة للممارسات والتمثلات" (Bourdieu, 1980, p. 88). إذ يحضر

الهابيتوس في تمثلات المبحوثين في محاولة تبرير رفضهم أن تكون المرأة أكبر سناً أو أطول قامته من الرجل، وهذا ما يعبر عنه المبحوث رقم 02 في الإجابة التالية:

"نظرة المجتمع كي واحد يتزوج مع امرأة كبيرة عليه فيها هدره، وأنا في اختياري نفضل نتزوج مع امرأة صغيرة علي"

والملاحظ أن هذا التصريح يبدأ بنظرة المجتمع، وينتهي باستعداده الذاتي الموافق لما بناه المجتمع من تمثلات اجتماعية ومنتجها بذلك نظرة المجتمع السلبية، وعند التساؤل عن السبب كانت إجابته كالتالي: "أنا هكذا في الاختيار أنتاعي ما نقدرش، في التنشئة في حياتي، نحاول نشوف وحدة صغيرة علي، لا أؤيد فكرة أن تكون المرة كبيرة علي (..) هكذا في التصور الخاص بي لا أحس بالارتياح، هكذا" أما تمثلات المبحوث من ناحية القامة والمرتبطة بالهابيتوس:

طويلة علي !!، لا. وعند التساؤل عن السبب كانت الإجابة كالتالي بعد تفكير طويل والصمت والتأمل:

"كي نشوف وحدا طويلة علي هكذا لا أحس بالارتياح، كيما نقولو ما تجينيش في بالي هكذا ندي وحدا طويلة علي، ما نقدرش نتعامل مع وحدة تكون طويلة علي، مشي ما نجمش نتعامل معاها كي نكسبها، لا، هديك عادي، لكن في الطول هكذا، الزوجة نتمشى معاها وطويلة علي !! (الصمت والتفكير)" وعند إلحاحنا في التساؤل عن السبب كانت الإجابة:

"لا يوجد سبب، لا يوجد سبب مباشر ظاهر، أنا هكذا ما نقدرش، وحدة طويلة علي نشوفها حاجة غير عادية، هذي هي الإجابة". مع شعورنا باندفاعه في الإجابة وإثارته خاصة من خلال ارتفاع صوته وتسارعه في الكلام.

وهنا ذكر المبحوث أنه لا يوجد سبب لرفضه أن تكون شريكه حياته أكبر سناً منه، وتكرار ذلك ثلاث مرات يفيد التأكيد، ورفضه يعبر عن الاستعداد وعدم معرفته للسبب يعبر عن تأثير الهابيتوس في هذا الاستعداد بطريقة عفوية.

يترسخ مفهوم الهيمنة الذكورية الذي استعمله بيير بورديو بقوة في تحليل تمثلات بعض المبحوثين في اختيار شريك الحياة حينما تكون المرأة أكبر سناً من الرجل أو أطول قامته منه، إذ يصرح بذلك بورديو (2009)

إن العالم الاجتماعي يبني الجسد واقعا مجتسماً، ومؤتمناً على مبادئ رؤية مجتسمة، وينطبق هذا البرنامج الاجتماعي المستدمج للإدراك على كل الأشياء في العالم، وفي المقام الأول على الجسد نفسه في حقيقته البيولوجية، إن البرنامج نفسه هو الذي يبني الاختلاف بين الجنسين البيولوجيين وفق مبادئ رؤية أسطورية للعالم متجدرة في علاقة اعتباطية لهيمنة الرجال على النساء، (...) هكذا بإمكان الاختلاف

البيولوجي بين الجنسين، أي بين الأجساد الذكورية والأنثوية، (...) أن يبدو إذن وكأنه التبرير الطبيعي للاختلاف المبني اجتماعيا بين النوعين (genres). (صفحة 28)

هذا الاختلاف المبني اجتماعيا والمؤسس لهيمنة الأجساد الذكورية على الأجساد الأنثوية موجود في قلب العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، هذه الرتبة الاجتماعية (كبير، صغير، طويل قصير) للأجساد المجنسة تعتبر مؤسسة لرتابة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، وخاصة لدى الثنائي وبالأخص لدى الزوجين، هذا وتلعب الهيمنة الذكورية دورها في هذه العلاقات الاجتماعية المجنسة.

على وجه الخصوص في اختيار شريك الحياة، مما يجعل بعض المبحوثين يرفضون أن تكون المرأة أكبر سنا من الرجل أو أقصر منه قامة، لأن ذلك يهدد طبيعة النظام الاجتماعي المستدمج في قوالب الإدراك، وهذا الرفض هو رفض لعلاقة عمودية تكون فيها المرأة في أعلى السلم الاجتماعي (أكبر سنا، أطول قامة) لتسقط عن الرجل في العلاقة الثنائية موقعه المهيمن، فهي علاقة عمودية تكون فيها عملية الاتصال من أنثى إلى ذكر ومن أعلى إلى أسفل، كما أنها علاقة عمودية تكون فيها عملية الاتصال من ذكر إلى أنثى ومن أسفل إلى أعلى. وهذا الرفض ليس فقط رفض من طرف الرجل لهيمنة الجسد الأنثوي على الجسد الذكري، بل هو رفض أيضا من طرف المرأة، إذ يصرح بذلك بورديو (2009) قائلا:

تفرض البنية إكراهاتها على طرفي علاقة الهيمنة: إذًا، على المهيمنين أنفسهم، حيث يستطيعون الاستفادة من ذلك على الرغم من كونهم، بحسب قول ماركس: "مهيمن علمهم من الهيمنة"، وذلك لأن، وكما تكشف ذلك كفاية كل الألعاب المرتبطة بين الضخم والضعيف، المهيمنين لا يستطيعون التواني عن تطبيقها على أنفسهم، أي تطبيق ترسيمات اللاوعي على أجسادهم، وعلى كل ما هم عليه، وعلى كل ما يفعلون، وتلك الترسيمات، كما في حال الرجال، تولد متطلبات ضخمة، كما تُحْدَسُ بها وتدرِكها ضمنيا النساء اللواتي لا يُردن زوجا أقصر منهن. (ص107)

تعبير المبحوثة رقم 04 عن ذلك في التصريح التالي: "لا، عندي مشكل كبير، ولد عمتي خطبني وصغير بالأشهر وما قبلت، نقول لك على (مع الضحك)، الإبرة والخيط، شفتي الإبرة كي تجر الخيط نحس كيماهاك، كيما خويا الصغير مين نوجهه، كي تحكي فيه أنت ما تحسهمش راجل" وهنا تعطينا المبحوثة مثال معبر عن الهيمنة الذكورية أفضل تعبير، إذ تمثل لنا العلاقة المجنسة للجنس بعلاقة الإبرة بالخيط، أي أن المرأة حينما تكون أكبر سنا من الرجل، فهي تمثل الإبرة المعبرة عن رمز القيادة والسيطرة، أما الرجل حينما يكون أصغر سنا من المرأة فهو يمثل الخيط المعبر عن التبعية والخضوع، ورفضها لهذا التمثيل هو رفض لقلب موازين الأمور للروابط الاجتماعية بين الجنسين. تظهر تمثيلات الهيمنة الذكورية في حركات الجسد أيضا، وهذا الصدد نذكر التصريح التالي للمبحوث رقم 01 الذي لا يحس بالإرتياح عند رفع رأسه النظر إلى شريكته الأطول قامة منه :

"أنا ما نحسش روجي نكون مرتاح، الرجل يطلع راسه، هي عندها هديك النظرة السلطوية، وحدة كي تكون طويلة علي ونشوف فيها".

ب- الجمال:

الجمال هو بناء اجتماعي يتكون من مجموعة من الرموز والدلالات الاجتماعية، المعتقدات والمعايير، الرقابة الاجتماعية، كما أنه لا يوجد نموذج واحد للجمال تمجده كامل الإنسانية، فالنماذج الجمالية تختلف من مجتمع لآخر من حيث اختلاف الحيز المكاني والزمني، مما يبرز اختلاف التمثلات الاجتماعية للجمال.

من خلال تصريح المبحوثات يبدو أن هنالك بعض الأذواق الجمالية التي تبدو غريبة بالنسبة لنا تحمل رمزية اجتماعية، ووظيفتنا سوسيولوجيا تفكيك هذه الأذواق وفهم مدلولها الاجتماعي لنسقط عنها ما هو غريب وشاذ. هذه الأذواق هي الشيب والصلع، نذكر بهذا الصدد تصريح المبحوثة رقم 06 التي تفضل أن يظهر على شريكها علامات شيب الشعر قائلة:

" نبغي واحد شعره شايب، يعجبني، نحس هداك الشيب مظهر من مظاهر النضج "

كما تبدي المبحوثة رقم 04 تفضيلها لشريك تظهر عليه بعض علامات صلع الرأس بقولها:

" الحاجة لي تلفت لي إنتباهي بزاف في جمال الرجل كي يكون أصلع شوية، نحس فيه هديك الرجولة، نحسه شارب عقله (ناضج)، كمظهر ثاني تعجبني".

هذين الذوقين يجتمعان في بعدين هما ظهور العلامات الجسدية للتقدم في السن لدى الرجل وارتباط ذلك بعامل النضج. مما يدعوننا إلى التساؤل التالي: هل يمكن أن تصبح المرأة أجمل في مجتمعنا إذا ما ظهرت عليها العلامات الجسدية للتقدم بالسن مثل الرجل؟ .

كما تعرضنا إلى تضاريس الجسد والمقصود بها شكل الخريطة الجغرافية للجسد، من خلال تصريح بعض المبحوثين الذكور ظهر أن هنالك شرط معين في تضاريس الجسد الأنثوي وليس فقط رغبات، وهو ما يعبرون عنه بمصطلح " المريحة " ومعناه الجسد الممتلئ مع بعض الاستدارات البارزة في الصدر والمؤخرة. ذلك لارتباط المرأة بصورة جسدها، واعتبارها كموضوع جنسي، تعبر (Ferrand, 2004, p. 91) قائلة: " بالرغم من تصاعد التعليم وتوظيف النساء، مازال النساء أيضا يعتبرن من قبل الرجال كموضوع للرغبة والتملك، بينما الرجل هو أولا يعتبر من قبل المرأة كفاعل اجتماعي".

ومما سبق نستنتج دور الهوية الجندرية ومدى تواجدها في التمثلات الاجتماعية لاختيار شريك الحياة، كما تقول الباحثة (Lowy, 2006, p. 206) : " الثنائي مختلف الجنس، على الأغلب، ينشأ من قاعدة عدم المساواة الأساسية بين الجنسين".

4- الحياة اليومية للأزواج بين التغير الاجتماعي والهوية الجندرية:

إن البحث في الأطراف الأساسية في تشكل الأسرة وهي "الزوج" بمعنى le couple باللغة الأجنبية، الزوج والزوجة. جعلنا ننتقل من مرحلة ما قبل الزواج التي تتمثل في تمثيلات الاختيار إلى مرحلة ما بعد الزواج، أين يتشكل الرابط الزوجي في شكله المؤسساتي والمعاش في الحياة اليومية، خاصة حينما تكون الزوجة طالبة جامعية، أي وجود مسؤوليات أخرى بالفضاء العام غير الأسرة وهي الدراسة ولدى حالات أخرى الدراسة والعمل.

إذ أن مشاركة المرأة للرجل في بعض المجالات التي كانت في وقت سابق حكرا على الجنس الذكري، تقودنا إلى البحث عن الأزواج في علاقتهم بالتغير الاجتماعي والمدى الذي وصلوا إليه من التغيرات، من المساواة، من ناحية تقاسم الأدوار والمشاركة. خاصة وأنا قمنا بدراسة ميدانية لأزواج مستقلين في السكن عن العائلة، في مرحلة عمرية غير متقدمة بالسن، المرأة تزاوّل نشاط بالفضاء العام من دراسة وعمل. أي دراسة ذلك الزوج المعاصر في مواكبته للتغير الاجتماعي ومقارنة ذلك بما تلقاه في تنشئته الاجتماعية من تصورات جندرية لمعنى الذكورة والأنوثة. تعتبر إشكالية الجندر من بين الإشكاليات الحديثة الطرح خاصة مع ارتباطها بتغير مكانات وأدوار كل من المرأة والرجل بالمجتمع، فالجندر كنظام اجتماعي للتقسيم الجنسي يجعل الأفراد يتماهون معه ويخضعون لضوابطه وتصنيفاته، خاصة وأنه يعود إلى التنشئة الاجتماعية لهم مما يقوي ويدعم عملية الاستدماج الفكري في الحس الجمعي، في نفس الوقت هنالك واقع التغير الاجتماعي للقوالب الجندرية النمطية، خاصة في أدوار ومكانة كلا الجنسين.

فرغبتنا توجهت إلى البحث في المعاش اليومي لهذا التغيير في مؤسسة مهمة بالعائلة، يتصادم هذا الأخير مع تنشئة اجتماعية تنطلق من تصورات جندرية عن كلا الجنسين، ذلك التصادم بين التقليد والتجديد، النمطي والمستحدث.

وبالتحديد ركزنا في البحث على الطالبة المتزوجة بين عدة فضاءات اجتماعية؛ الفضاء الأسري والجامعي والمهني.

إن الحديث عن الهوية الجندرية يعني الحديث عن اليقين الثابت الذي يحمله الفرد عن جنسه وعن علاقته مع الجنس الآخر، أي الحديث عن معنى الذكورة والأنوثة، هذا ما تعبر عنه الباحثة الاجتماعية ظاهر (ضاهر، 2011، صفحة 20):

الاعتراف بهوية أنثوية أو ذكورية غالبا ما يتم إخراجه من بدهيات البيولوجي، في اتجاه توظيفه اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وإيديولوجيا. هذا هو الذي جعل العامل البيولوجي مرتبطا بتاريخ المجتمعات والثقافات، وخاصة بعلاقات القوة والسيطرة فيها، إذ لكل مجتمع آلياته الخاصة في التعامل مع الفوارق البيولوجية وتكييفها أو "تطبيعها"، ضمن سيرة يتعلم فيها الفرد ما معنى أن يكون رجلا أو امرأة، أي أن يكتسب فيها هوية الذكورة والأنوثة".

أ- الهوية الجندرية ونمطية الدور في الحياة اليومية:

البحث في النمطيات التي طبعت الهوية الجندرية مهم جدا في التحليل، لأن التفسير العلمي للنمطيات الجندرية بإمكانه الارتقاء من المعرفة العامة النمطية إلى المعرفة العلمية. وبذلك الانتقال إلى الثنائيات التي تفصل بين الطبيعي والثقافي، البيولوجي والاجتماعي، الجنس والجندر. كما يؤكد "بيير بورديو" من خلال مفهوم "الهابيتوس" إذ أنه يوضح أن الهوية الجندرية ليست طبيعية بل هي خاضعة لتطبيع اجتماعي قائم على الهيمنة الذكورية.

من خلال العمل الميداني نستكشف النمطية الخاصة بمفهوم تقليدي للهوية الجندرية وتجاوز لها خاص بمفهوم جديد للهوية.

يظهر ذلك في التقسيم الجنسي للعمل المنزلي الذي يندرج في مختلف المهام المنزلية ورعاية الأطفال، بين مبحوثات تعشن قوة النمطية في التقسيم الجنسي وعدم مشاركة الزوج، ومبحوثات تعشن محاولة تجاوز النمطية من خلال مشاركة الزوج في العمل المنزلي.

" ينود يرفد كاسو، ولا يرفد طبسيه (الصحن الخاص به) يحطوا في الكوزينة (المطبخ) ويمشي، لأن العمل المنزلي الكثرة غير للمرأة، أنا نطيب، أنا نخمل، أنا نغسل الماعن (الأواني)، أنا هدا (... الأثش علابالك نمشي لتلمسان نشر ياعد كيما راه منشور، يرفد غير سراولو " (المبحوثة رقم 04)

وتضيف المبحوثة على تأكيدها لدورها النمطي ضمير خاص بالمتكلم والذي يعني الملكية، أي ملكية هدا الدور النمطي الذي أصبح من اختصاصها بقولها: " نطيب فطوري " المبحوثة رقم 04.

وتأكد نفس المبحوثة على هذا الدور وتقول بصريح العبارة أنها خلقت امرأة من أجل ذلك: "نفرح زوجي والأسرة أنتاعي هذا هو الدور الخاص بي، أنا امرأة من أجل ذلك "

مؤكدة بذلك على تأثير المجتمع في تنشئتها وتقول: " مجتمعا هو اللي يفرض عليك هكذا، باش أنا راجلي يأصر على الصامصة في الليل عيب علي وحشومة، هذه نظرة المجتمع ليه وخاصة كي راني أنا وياه لازم يوميا يحس بالرجولة أنتاعه، وإلا يحس حتى هو بالإهانة".

من ناحية أخرى نجد محاولة تجاوز للنمطية لدى المبحوثة رقم 02 إذ نلاحظ من خلال تصريحها أنها تجمع بين التقليد والمعاصرة في عملية تقديم الحليب للرضيع من خلال تقديم حليب الأم ووضع الحليب في حمام مائي وتسخينه من طرف زوجها عندما تقوم بعملها المنبي بالفضاء العام. كما نرى أنها لا تجمع بين الطريقة التقليدية والمعاصرة فحسب بل أن عملية تقديم الحليب للرضيع يشترك فيها طرفان أساسيان هما الزوج والزوجة. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وجود تغير اجتماعي في أدوار كل من الرجل والمرأة في الحياة الزوجية.

" أنا نرضع، كيما كي نروح نخدم يدير لولده البييرو، يلقاه واجد، نديره في الثلجة وهو يديره في حمام مائي ويعطهم " المبحوثة رقم 02.

عندما تعمل هذه الزوجة يوم في الأسبوع بالجامعة، نجد أن الزوج لا يعمل ذلك اليوم ليعتني بأطفاله بقولها:

" يطيب لأولاده، يغسل لهم، يبدل لهم، يخرجهم، كي تكون خدامة، وكي نكون أنا في الكوزينة يشدهم لي، ما يتقلقش من الأطفال". المبحوثة رقم 02

ونظرتها لمساعدته لها في العمل المنزلي تختلف عن نظرة المبحوثة رقم 04 فهي تقدّر ذلك فيه وتعتبرها خصالا نبيلة.

" هو رجل جيد، الرجل الذي يساعد الزوجة حتى في التفاصيل الصغيرة بالنسبة لي رجل جيد أحترمه وأقدّره".

ب- الطالبة المتزوجة بين الأسرة والدراسة والعمل:

غالبا ما تذهب مختلف البحوث الأكاديمية إلى دراسة المرأة العاملة المتزوجة وتأثير الفضاء الأسري على الأداء الوظيفي أو العكس، غير أن الاهتمام بالطالبة المتزوجة يبدو شبه غائب في ساحة البحث، هذا ما دفعنا إلى التوجه إلى هذا الجانب، خاصة وأن الزواج مؤخرا لم يعد نهاية لمطامح المرأة بالتعليم حسب بعض التصريحات من المبحوثات، كما أن المرأة بهذه الوضعية أصبحت تتواجد بين مشروعين المشروع الفردي؛ تعليم عالي وعمل، إضافة إلى مشروع ثنائي خاص بمؤسسة الزواج والأسرة ومسؤولياتها، وتواجدها أيضا بثلاث فضاءات فضاء أسري، دراسي ومهني، علاقتها بهذه الفضاءات تحكمها مكانات وأدوار عديدة. فهي الزوجة والأم، إضافة إلى ارتباطها بمسؤوليات العمل المنزلي، غير المأجور، فهي تزاوّل مهنة العمل المهني المأجور بالخارج أيضا، كما أنها طالبة تسعى إلى الحصول على رأسمال ثقافي اجتماعي.

انطلاقا من ذلك انصب اهتمامنا على كشف الواقع الاجتماعي بين هذين المشروعين، أين يظهر لنا الدور الجندري للمرأة وكيفية تفاعل المرأة المتزوجة مع هذا الدور.

تقوم المبحوثة رقم 11 بتنظيم وقتها بين ثلاثة فضاءات إجتماعية على طريقتها الخاصة، إذ يكون هناك علاقة متينة بين الدراسة والعمل والاستعانة بالتضامن العائلي لتغطية غيابها عن الأسرة.

" الوقت لي نكون في المكتب ومعدّيش خدمة نغلق المكتب وراني نقرا خاصة فترة الإختبارات، نخدم المناوبات الإدارية، في العمل نطلب منهم يمدوها لي في أيام الدراسة، مثلا عندي دراسة يوم الأحد، نطلب منهم يمدو لي مناوبة إدارية بالمستشفى يوم السبت من الساعة 18:00 حتى 07:00 وطبعا عندي يوم راحة بعد المناوبة نروح للجامعة.... بالنسبة للأطفال عندي الأم قريبة من الدار، أولادي غير يخرجو من المدرسة يروحو عندها يفطرو"

يمكن أن نذكر ثلاث نقاط أساسية تعمل الطالبة المتزوجة من خلال تصريح المبحوثات على تبنيها: الاستعانة بشبكة العلاقات العائلية أو ما نسميه بالتضامن العائلي، خدمات الرعاية الخاصة أو ما يسمى بالروضة أو الحاضنة، محاولة التوفيق بين الأوقات الخاصة بالفضاءات الثلاثة. هذه النقطة الأخيرة تحدّث عنها (Mulet, 2008, p. 264) فقال أن: "التوفيق هو سيرورة تحثنا على البحث عن التوازن بين مختلف الأوقات الاجتماعية".

ويختلف تنظيم الوقت بين المبحوثات حسب اختلاف المرونة في وقت العمل، في مساعدة الزوج، في الوسط العائلي وغيرها من العوامل. إلا أن الوقت يبقى العامل الأساسي الذي تحاول المرأة جاهدة استغلاله وهي بين عدة فضاءات اجتماعية.

الوقت هو الوتر الحساس الذي تلعب عليه المبحوثات. حتى أن بعضهن تصرح أنه ليس لديها وقت فراغ، وأن وقت فراغها مكرّس للدراسة. تقول المبحوثة رقم 6 بهذا الصدد: " ما عنديش قعاد، عندي وقت قاعدة راني نقرا، كرهت من الخياطة حطّيتها نرفد كتاب نقراه، مرّات نوصل نقرا الكتاب في نهار".

تعطينا هذه الطالبة تعبيراً عن كثرة المهام مقارنة بالوقت تعبيراً مستوحى من مهنتها كخياطة قائلة: "كي تلحق 23:00، أو منتصف الليل، نلقى خصني بزاف صوالح نديرهم، نحس 24 ساعة قليلة لو كان نلقى نحل لها الكفة".

الملاحظ من خلال تصريح المبحوثات أن تنظيم الوقت هو عامل أساسي في تنظيم الأدوار بين ثلاثة فضاءات إجتماعية الدور الأسري، المهني والدراسي. كما يندرج الضامن الاجتماعي أيضاً ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية للطالبة المتزوجة، كالعائلة خاصة الزوج أو الأم، ولدى أحد المبحوثات الجار خاصة أمها تقيم بحي شعبي، تعبر عن ذلك المبحوثة رقم 07 بقولها: "أحنا نسكنو في حي شعبي مغلق، نتعاونو بيناتنا. كايين واحد جارنا متقاعد يدي ابنته للمدرسة ويدي ابنتي معاه".

كما قد تستعين الطالبة المتزوجة بالحاضنة أو الروضة. أيضاً من الأساليب التربوية التي تعتمد عليها الطالبة المتزوجة العاملة هي غرس روح المسؤولية لدى الطفل في القيام ببعض المهام المنزلية، هذا ما يساعده على الاعتماد على نفسه في حال غياب الأم والمحافظة على ذلك التضامن العائلي. كلها استراتيجيات تتبعها المرأة محاولة تحقيق ذلك التوازن بين مختلف أدوارها الاجتماعية.

تصرح المبحوثة رقم 04 بعدما وردتها مكاملة هاتفية من ابنتها في عمر 7 سنوات ترد بلهفة، تطمئن على وضعها، وصولها من المدرسة إلى البيت، إذا ما تناولت غذائها وغيرها من الأمور. وتقول:

"أنا معلمة الدراري (الأطفال) يعتمدوا على ريساتهم (أنفسهم)، عاطيتها المفتاح، تيجي تدخل للدار، معلمة ولدي يسخن (ولد عمره 12 سنة)، معلماته كل شيء..... من الصغر معلمتهم مليحة لي ولهم،

أولا باش يكونو آفزين، وثانيا باش نكون أنا متحررة قليلا....معلمتهم سروالك نحيه علقو...نعلمهم التنظيم لهم باش يكونو مسؤولين، في نفس الوقت لي باش ننظم روجي أنا ثاني."

نلاحظ من خلال هذا التصريح أن اعتماد الأطفال على أنفسهم هو من الأمور التي تجعلها تنظم مهامها الأسرية كأم مسؤولة عن الأبناء، وبالتالي تخف المسؤولية الملقاة على عاتقها أيضا.

تعتبر المبحوثة رقم 07 عن ذلك قائلة: "نقول لبنتي ارفدي الملابس أنتع خوتك كي تجي من المدرسة على 12:00، علمتها شوية تخدم في الدار malgré عندها 11 سنة، لكن الحمد لله تعرف تدير بزاف صوالح".

الملاحظ أن هذه المبحوثة تقوم بتعليم المهام المنزلية للبنات فقط ولم تذكر بذلك الولد رغم أن لديها أبناء ذكور. هذا إن دل على شيء فيدل على إعادة إنتاج التقسيم الجنسي للعمل المنزلي من طرف بعض الأمهات أنفسهم.

بالإضافة إلى ذلك تلعب التصورات الاجتماعية أيضا دورها في تشكيل محيط خاص بالمرأة، فأحيانا تلقى تشجيع من الزوج والأهل وأحيانا تتصادف بتصورات جنديرية ترفض التعليم لدى المرأة المتزوجة ربما تتقبل عملها لأنه يعود عليها بعائد مادي في حين لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للتعليم. هذا ما تعبر عنه المبحوثة رقم 6 قائلة: "تخدمي تدخلني دراهم مقبولة، بصح تخدمي تروحي تقري مشي مقبولة، مع أنا حضوري يومي في الجامعة، مثلا: خوتي يقولو لي راكي زايدة على روحك، الوقت اللي ضيعتية في قرابتك كون ضيعتية على خدمة".

5- خاتمة:

إن الزواج كموضوع سوسيولوجي خاضع لإنشاءات اجتماعية تملها ثقافة المجتمع. إذ يتضح أن الجندر كبناء اجتماعي ثقافي يشكل الهوية الذكورية والأنثوية والعلاقات بينهما، يعمل على تشكيل سيرورة الزواج من الاختيار إلى الحياة اليومية المعاشة؛ يكون عامل أساسي في تشكيل التمثلات الاجتماعية الخاصة باختيار شريك الحياة حتى لدى الفئة المتعلمة بالجامعة، فالتمثلات الاجتماعية الجنديرية هي نوع من المعرفة العامة المكتسبة من التنشئة الاجتماعية خاضعة لإعادة الإنتاج بين الأفراد.

كما أن المعاش اليومي للأزواج خاصة حينما تكون الزوجة طالبة وعاملة أيضا خاضع لذلك التصادم بين الهوية الجنديرية والأدوار الجديدة لها، بين الدور الأسري كزوجة وأم والدراسة والدور المهني، بين العمل المنزلي وتربية الأطفال والعمل المهني والدراسة، بين التبات والتغير، بين التقليدي والحديث، تقول فاطمة الزهراء قشي في دراسة لها أن "أكثر النساء العاملات في العالم لازلن يعشن في عالمين: عالم جديد يقمن فيه بالمهام نفسها كالرجال، وعالم تقليدي يطلب منهن فيه عدم التقصير في مهام المنزل والأولاد" (قشي، 2010، صفحة 257). بذلك الحدثة لم تلغي التقليد واندمجت الهوية الجنديرية للطالبة المتزوجة مع التغير الاجتماعي للدور، فكانت تلك الهوية بمثابة تراث اجتماعي للمرأة الحديثة.

6- قائمة المصادر والمراجع :

- بورديو، ب. (2009). "الهيمنة الذكورية". (تر، سلمان قعفراني)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- ضاهر، غ. (2011). "الأنوثة والذكورة في لبنان دراسة في أوساط طلاب الجامعة". بيروت، منتدى المعارف.
- قشي، ف. ز. (2010). "المسألة النسوية في الجزائر في العشرينيات من القرن العشرين، تطلع إلى الحضور". في: "النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية"، أميرة سنبل، وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الصفحة 336-378.
- المراجع باللغة الأجنبية:
- anirian, D. I., & al. (2019). "identity and role of gender" in "the relationship of couple. A Generational study on stay in marriage". HYPERLINK "https://www.actascientific.com/ASNE/pdf/ASNE-02-0110.pdf" <https://www.actascientific.com/ASNE/pdf/ASNE-02-0110.pdf>
- Berni, L & al. (2008). « introduction aux gender studies, manuel des études sur le genre». Ed De boeck. paris.
- Bourdieu, P. (1980). « Le sens pratique», Ed. De minuit, Paris.
- Ferrand, M. (2004). « Féminin, Masculin». Ed. La découverte. Paris.
- Guionnet, C. (2014). Isabelle Clair, « Sociologie du genre ». Colin, Paris, coll. « 128 », 2012, 128 pages. «Travail, genre et sociétés », n° 31 (1), pp. 199-201. HYPERLINK "https://doi.org/10.3917/tgs.031.0199" <https://doi.org/10.3917/tgs.031.0199>
- Lowy, I. (2006) « L'emprise du genre, Masculinité, Féminité, Inégalité». Ed. La dispute. Paris.
- Mulet, L. M. (2008). « Les stratégies de conciliation entre trois étapes». In; « Genre, temps sociaux et parenté». Ed. L'Harmatan, Paris. (Sous la direction de M. P. Gaborit) ,pp 243-266.